في الآخرة عند السؤال الملكين في القبر وأما في الحديث فقوله عليه الصلاة والسلام لأبي هريرة جف القلم بما
انت لاق فاختص على ذلك أو ذر وهذا على السابقة وقوله عليه الصلاة والسلام انما الأعمال بخواتيمها فدل
على الخاتمة الوجه الثاني قوله خيرا احتمل ان يكون الخير هنا محمولا على صيغة اللفظ فيكون على العموم
لأن الصيغة نكرة ويحتمل ان يكون معناه الخصوص لأن ذلك سائغ في السنة العرب فإن كان المراد به العموم
فيكون معناه الخير في الدنيا والآخرة وإن كان المراد به الخصوص فيكون معناه ما قاله بعض العلماء ان المراد
بالخير المطلق الجنة وهذا ليس بالقوي والأولى أولى الثالث قوله عليه الصلاة والسلام يفقهه الفقه هو
الفهم يقال فقه فلان اذا فهم قال الله تعالى فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا أي لا يفهمون حديثا
والفهم هنا يحتمل معنيين الأول أن يكون المراد به الفهم في احكام الله تعالى الثاني ان يكون المراد الفهم عن الله
عز وجل فإن كان المراد الأول فيكون الحديث الآتي بعده مفسرا لهذا المجمل لأنه قال فيه يفقهه في الدين اذا
اجتمع مطلق ومقيد حمل المطلق على المقيد وهذا الفقه لا يؤخذ الا بالتعلم على ما أشار اليه عليه الصلاة
والسلام في حديث بعد فيأخذ أولا في الحفظ والضبط والاجتهاد في مطالعة الكتب الصحاح فإذا فعل هذا
كان له الأجر على نفس فعله ذلك اذا كان لله خالصا لا يشوبه شيء غيره وأجره أجر النافلة ولذلك
قال عليه الصلاة والسلام رب حامل فقه الى من هو أفقه منه وكذلك قال عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع
ألا فليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه أي أعمل ثم بعد تحصيل
ما أشرنا اليه والعمل به يأتيه اذ ذاك الفقه وهو نور يقذفه الله في قلبه يكون معه الفهم أو به بقدرة الله
عز وجل ولذلك قال الإمام مالك رحمه الله تعالى ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم نور يجعله
الله في القلوب لأن الحفاظ فلت الفهم فلا يكون معه عمل وقد ذم الله عز وجل من صدر منه ذلك في
كتابه حيث قال كمثل الحمار يحمل أسفارا ولأجل عدم تحصيل هذا الشرط الذي أشرنا اليه الذي هو سبب
حصول هذا الفقه كان كثير ممن يدعي العلم بزعمه لما حفظوا بعض الكتب وطالعوا بعض الشروحات
اذا سمعوا معنى من المعاني لم يروه منقولا في الكتب التي حفظوها أو طالعوها يقع منهم الانكار مرة
واحدة ويحتجون بأن يقولوا ما سمعنا من قال هذا وإن رأوه في بعض الكتب مسألة وهمّ قائلها وعمدت
في النقل ان تحلت

في النقل ان تحلت عليه اخذوها بالقبول ووقع لهم التسليم وقالوا هي منقولة وينسبوها الى صاحب الكتاب
ولذلك الا لعدم النور الذي به يفهمون لأجل الانبساط الذي عليه بأنهم لم يعملوا مع الانبساط فقد وقع من
بعضهم في الظاهر الذي هو النقل كما اشرنا اليه لا يكون من أحد وجهين إما أن يكون عملهم لغير الله
تعالى وإذا كان كذلك فالنور عليه حرام لأن النبي صلى الله عليه وسلم تسليما يقول من عمل من هذه الأعمال
شيئا يريد به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة وإن ريحها الجنة لتشم على مسيرة خمسمائة سنة وإما أن يدخل
عليهم العجب في نقلهم فيظنون أن ذلك هو غاية العلم فيحسبون أنفسهم أنهم من العلماء فيحرمون
لأجل دعواهم العلم فلوزن المسكين معرفة نفسه وأنه انما ينطلق عليه ناقل ان كان نقله على وجه لا
لرجى له عند الاعتراف بحاله وعجزه فإن الله تعالى يمن عليه بشيء من النور ومن رزق شيئا من النور رجي له التوفيق
والزيادة حتى يلحق بأهل الخير العميم المتقدم ذكره في الحكم فالحاصل من أحوالهم اليوم أن الكل رجعت
عندهم أسفارا منقولة الأصول والشروح أسفار محمولة وهذا هو نفس ما ذم الله عز وجل في كتابه كما
تقدم وقل ما يكون مع ذلك التوفيق نعوذ بالله تعالى من العمى والضلال وإن كان المراد بالفقه هنا
الوجه الثاني وهو الفهم عن الله فيكون هذا الحديث مستقلا بنفسه والحديث الآتي بعده مستقلا بنفسه لأن
هذا يراد به الفهم في احكام الله عز وجل وحمل الحديثين على معنيين أظهر وأفيد من حملهما على معنى
واحد وقد يجوز ان يكون الحديث الذي نحن بسبيله على معنيين والحديث الآتي بعده مؤكد للمعنى الواحد منهما
وهذا الظاهر بين لأن الفهم في احكام الله تعالى أكد وهذا الفقه هو بالنور والالهام وهو مأخوذ من السنة
كما تقدم واشرنا اليه في حديث البيعة وهذا لا يجده الا أهل التحقيق والصدق والاخلاص والهدى والنور
والحكمة والبرهان فهموا ففهموا وأريدوا فأرادوا وأولئك الصوفية الكرام عيون الله تعالى من خلقه في أرضه
كما قال عمر رضي الله تعالى عنه عن علي رضي الله تعالى عنه ان لله عيونا في ارضه من خلقه وان عليا منهم
وكان يقول رضي الله تعالى عنه نعوذ بالله من معضلة لا يكون فيها علي مع ان الخلفاء رضي الله تعالى عنهم
كلهم عيون في العيون ولكن كان كل واحد منهم يرفع صاحبه تواضعا في نفسه وتعظيما لصاحبه
لما خصه الله تعالى به وكذلك هم والتابعون لهم باحسان الى يوم الدين فكل من فهم عن الله فهم

Copyright © King Saud University